الآداب
المجلد:24، العـدد:01، ديسمبر 2024
الصفحات: 151 – 166
ISSN 1111 – 4908 EISSN 2588 – 2228

الرواية الموجّهة لليافعين في الجزائر (بائعة الخبز، وبركات لالا سيتي.. حصار المائة شهر) لأحمد منور أنموذجا

The Young Adult Novel in Algeria (Baiat elkhobze [The Bread Seller]and Barakat lala siti. [Lala Siti Blessing], hissar elmiat shaher[Hundred Months Siege]) by Ahmed Menouar as a model

ط.د. زهيرة حمادي [1]

د. سعيد بهون عليّ [2]

[1] جامعة امحمد بوقرة– بومرداس–مخبر أطلس الثقافة الشعبية الجزائر2 – الجزائر، z.hamadi@univ-boumerdes.dz

[2] جامعة امحمد بوقرة– بومرداس – الجزائر، s.bouhoun-ali@univ-boumerdes.dz

تاريخ الإرسال: 2023/07/21 **تاريخ القبول:** 2024/06/29 **تاريخ النشر:** 2024/12/15

ملخص:

رواية اليافعين، مصطلح حديث على الساحة الأدبيّة، وهي جنس ينتمي إلى نوع أدبي جديد منفصل ومستقلّ حديثا عن أدب الطفولة والناشئة يسمى أدب اليافعين، وعلى غرار الأدباء العرب حاول المبدعون الجزائريون دخول هذه التجربة، وهي الكتابة لفئة اليافعين والشباب مستغلّين في ذلك فنّ الرواية.

تهدف هذه الدراسة إلى إعطاء بعض المفاهيم لهذا الأدب المستحدث عربيا، والتعرّف على الرواية الموجّهة لليافعين وخصائصها ومميزاتها، والأهمّ من ذلك إلقاء نظرة على واقع رواية اليافعين وأدب اليافعين بشكل عام في الجزائر، وما يمكن استخلاصه من هذا البحث عدم التوافق على تعريف واحد لأدب اليافعين، والضبابيّة حول الفئة الموجّه إليها، كما أنّ رواية اليافعين في الجزائر قليلة جدا ولكنّ النماذج الموجودة على قلّتها استطاعت الخوض في عدةّ مواضيع من واقع الشباب واهتماماتهم، كما يمكن القول إنّ رواية اليافعين في الجزائر تنقسم إلى نوعين، نوع موجّه للأطفال بين 12و15سنة، ونوع موجّه إلى الشباب فوق الخامسَ عشْرة سنة.

كلمات مفتاحية: رواية؛ اليافعون؛ أدب الطفل؛ الجزائر؛ أحمد منور.

Abstract:

The young adult novel, a modern term on the literary scene, is a new literary genre separated and newly independent of childhood and youth literature called young adult literature. Similar to Arab writers, Algerian creators engaged in this experience, writing novels for young adults.

المؤلف المراسل: زهيرة حمادي.

This study aims to give some concepts to this new literature in the Arab world, and to identify the young adult novel with its characteristics and advantages. Most importantly the study takes a look at the reality of the young adult novel and young adult literature in general in Algeria. What can be extracted from this research is the lack of consensus on one definition of young adult literature, and the ambiguity about the category of readers to which it is directed. The young adult novels in Algeria are very few, but the exiting ones were able to delve into several topics on young people reality and their interests. We can say that the young adult novel in Algeria is divided into two types, one aimed at children between 12 and 15 years old, and one directed to young people over 15 years old.

Keywords: *novel; young adults; children's literature; Algeria; Ahmed Menouar.*

مقدمة:

شهد العالم العربي اهتماما ملحوظا بنوع أدبيّ جديد على الساحة العربيّة يسمّى أدب اليافعين، وهو جنس حديث العهد بالساحة الأدبية العربية، أما في الغرب فقد عُرف منذ عقود طويلة، وبالنظر إلى حجم الإبداعات التي ظهرت في هذا المجال مؤخرا نستطيع القول إنّ أدب اليافعين يشهد نهضة واضحة لا يمكن إنكارها، وتعدُّ الرواية الموجّهة لليافعين أهمّ جنس في هذا النوع الأدبي الذي انفصل عن أدب الطفل والناشئة، وأصبح جنسا أدبيا مستقلا بخصائصه ومقوّماته؛ إذ إنّ أغلب المبدعين دخلوا باب أدب اليافعين من خلال فنّ الرواية على حساب الأجناس الأخرى.

لقد انتبه أدباؤنا إلى أدب اليافعين والرواية بشكل خاص نظرا لنجاح هذا النوع في الغرب والإقبال الشديد عليه من قبل الكبار، وكذلك فئة الشباب التي كان موجّها إليها بالأساس، فازدهرت الترجمة في عالمنا العربي، وأقبلت دور النشر عليه واضطلعت بترجمة العديد من الأعمال التي تصدّرت المكتبات، قبل أن يبدأ المبدعون العرب في التأليف معتمدين على قرائحهم ومواهبهم انطلاقا من بيئتهم وثقافتهم العربية، وعلى غرار الأدباء في المشرق العربي حاول المبدعون في الجزائر إنتاج بعض الأعمال التي لها علاقة بأدب اليافعين، والرواية الموجّهة لليافعين بشكل خاص، وعلى قلّة هذه الأعمال فإنها فتحت الباب أمام المهتمّين بأدب الطفولة والناشئة للإبداع في هذا النوع الموجّه لفئة مهمّة وحسّاسة من أبنائنا وهي فئة اليافعين والمراهقين.

يدفعنا هذا الوضع إلى التساؤل عن ماهية أدب اليافعين، وما المقصود بالرواية الموجّهة لليافعين؟ وما هي خصائصها ومواضيعها؟ ثم ما هو واقع أدب اليافعين وفنّ الرواية بشكل خاص في الجزائر؟

يهدف هذا البحث إلى التعريف بهذا النوع الحديث من الأدب الموجّه للناشئة، وإلقاء نظرة على واقعه في العالم العربي وفي الجزائر بشكل خاص، وكذلك عرضُ بعض المفاهيم التي أُعطيت لأدب اليافعين وللرواية الموجّهة لليافعين التي تعدّ أهمّ جنس كتب فيه المبدعون، ومحاولة استخلاص بعض سمات رواية اليافعين وخصائصها ومواضيعها في الجزائر من خلال تقديم بعض النماذج الإبداعيّة. ولتحقيق هذه الأهداف والإجابة عن تساؤلاتنا، ارتأينا تقسيم بحثنا إلى جزء نظري يشتمل على بعض المفاهيم لكلّ من أدب اليافعين وفنّ الرواية الموجّهة لليافعين، وإلقاء نظرة على واقع أدب اليافعين في كلّ من العالم العربي والجزائر، وجزء تطبيقي عمِلنا فيه على دراسة مقارنة لروايتين للأديب الجزائري (أحمد منور)، هما (رواية بائعة الخبز، ورواية بركات لالا سيتي) محاولين التعرف على خصائص رواية اليافعين وأنواعها، من خلال هذين العملين الإبداعيّين، وخلَصنا في خاتمة البحث إلى جملة من النقاط والنتائج المتوصّل إليها.

1. مفهوم أدب اليافعين:

قبل تعريف الرواية الموجّهة لليافعين، وجب أولا إعطاء مفهوم لأدب اليافعين بصفة عامة، الذي تُعد الرواية شكلا من أشكاله أو نوعا من أنواعه –إن صحّ التعبير– إنّ المتأمّل في هذا النوع من الأدب يجد أنه وُصِف بعدّة مسمّيات ومصطلحات منها أدب اليافعين، الراشدين، البالغين، المراهقين، الفتيان، الشباب...، كلّ هذه المسمّيات تُطلق على فئة عمرية غير ثابتة وغير متفّقٍ عليها بين المهتمّين بأدب الطفولة والناشئة، إنّ "التصنيف وفقا للعمر هو أول ما يستدعيه اصطلاح أدب الفتيان أو أدب اليافعين منذ الوهلة الأولى، على اعتبار أن هذا الأدب يوجّه للأطفال بعد عمر 12 سنة، على الرغم من أنّ بعض الأعمال يتحدّى هذا التصنيف، مثل سلسلة هاري بوتر، التي تمّ تسويقها للأطفال لكنها حصدت شعبيّة عالميّة، وأقبل على قراءتها الفتيان والبالغون"[1].

لقد اتفق النقاد نسبيا بعد جدل كبير على تقسيمات للفئات العمرية التي تندرج ضمن ما يُعرف بالطفولة، وذلك في تعريفاتهم المختلفة لأدب الطفل والفئات الموجّه إليها، فقُسّمت مراحل الطفولة تقريبا إلى أربع مراحل مهمّة هي: مرحلة الطفولة المبكرة تمتد من 3–5 سنوات، المرحلة المتوسطة وتمتد من 6–8

سنوات، مرحلة الطفولة المتأخرة وتمتد من 9-12 سنة، مرحلة اليقظة الجنسية من 13-18 سنة "وتختلف هذه المراحل بالنسبة للسنّ من الريف إلى الحضر، ومن مجتمع إلى آخر... ومن جنس إلى آخر، ولكن الطفولة من الميلاد إلى سن الثامنة عشرة تقريبا"[2]، وكذلك الشأن بالنسبة لأدب اليافعين الذي كان يعد جزءًا من أدب الطفل والناشئة، وذلك قبل أن يستقلّ بذاته ويفرض نفسه كجنس أدبي مختلف عن الأجناس الأخرى، فقد كان هناك جدل حول مفهوم أدب اليافعين، وجدل أكبر حول الفئة الموجّه إليها، "وحسب تقرير الأمين العام أمام الجمعية العامة للأمم المتّحدة، فإنّ الأمم المتّحدة ولأغراض إحصائية تصنف الفئة العمرية من 15 إلى 24 سنة ضمن اليافعين، بينما تحصر دور النشر ولجنات انتقاء الكتب المرشحة لنيل الجوائز ضمن صنف أدب اليافعين، هاته الفئة بين 12 و18 سنة"[3]، والكثير من النقاد يرجّح أن تكون مرحلة الفتيان بداية من 12سنة إلى غاية 18سنة، وهناك من يحصرها بين 12سنة و16سنة؛ أي فترة المراهقة، بل وهناك من يقسّم أدب الفتيان إلى مرحلتين: مرحلة اليافعين من 12 إلى 14 سنة، ومرحلة الشباب من 15 إلى 18سنة، بينما يحصرها آخرون في آخر مرحلة من مراحل الطفولة، وهي مرحلة اليقظة الجنسيّة التي يرى الناقد إسماعيل عبد الفتاح أنها "تمتد من 13 سنة إلى18 سنة، وهي المرحلة المصاحبة لفترة المراهقة التي تبدأ مبكّرا عند البنات بما يقرب السنة، وتتميّز هذه الفترة بما يحدث من تغييرات جسميّة واضحة يصحبها ظهور الغريزة الجنسيّة، واشتغال الغريزة الاجتماعية ووضوح التفكير الديني، والنظرات الفلسفية للحياة"[4].

من خلال هذه التقسيمات الجندرية التي يحيلنا إليها مصطلح أدب اليافعين، يمكننا القول إنّ أدب اليافعين هو ذلك الإنتاج الأدبي الذي يوجّه إلى فئة عمرية معيّنة، وهي فئة حساسة جدا، فهي تقع بين فترتي الطفولة والبلوغ والرشد؛ أي ما يُصطلح على تسميتها بمرحلة المراهقة، ومثلُه مثلُ أدب الطفل يحتاج إلى شروط وخبرة واسعة ومهارات كبيرة، نظرا لأهميّة الفئة الموجّه إليها وخطورة أبعادها النفسيّة والاجتماعيّة، ولكن رغم هذا الاتفاق النسبيّ على مفهوم أدب اليافعين والفئات الموجّه إليها، إلاّ أنّ الناقد العراقي (نجم عبد الله كاظم) صاحب كتاب (رواية الفتيان..خصائص الفن والموضوع)، وهو أول كتاب من نوعه يتحدّث عن أدب اليافعين؛ حيث جاء هذا الكتاب غنيا بمعلومات قيّمة عن هذا النوع من الأدب ونظرة تاريخية وافية عن نشأته، فلا يراه منفصلا عن أدب الأطفال؛ حيث يقول: "وقد لا يكون لما يُسمّى بأدب الفتيان أو صغار الراشدين كيان مستقل عن هذا الذي يشمله مفهوم أدب الأطفال؛ بل إنّنا

لا نكاد نجد له وجودا حقيقيا واضحا، وهذا لا يعني أن لا وجود له فعلا، بل هو عادة ما يكون ضمن هذا الأدب وامتدادا له"[5]، وبهذا يستمرّ الجدال القائم على مفهوم أدب اليافعين والفئة المعنيّة به في الساحة الأدبيّة العربيّة.

2. مفهوم رواية اليافعين وخصائصها:

أما بالنسبة للرواية فهي أهمّ جنس في أدب اليافعين، فعندما يتحدّث النقاد عن أدب اليافعين والشباب وَصفا وتعريفا وتنظيرا نقديا، يُقصد بذلك مباشرة الرواية، وكأن أدب اليافعين اقتصر على الرواية دون الأجناس الأخرى، وذلك يرجع ربّما لسببين: الأول هو طغيان الرواية على الساحة الأدبية بصفة عامة، والسبب الثاني هو ملائمة جنس الرواية لفئة الشباب، نظرا لتوسع فكرهم ووضوح معالمهم وتوجهاتهم الروحية والفلسفية، والتغييرات الجسمية والنفسية التي تطرأ عليهم، فربما تكون الرواية أكثر احتواء لهم ولميولاتهم المختلفة، كما أنّ أدب اليافعين جنس حديث النشأة خاصة في الوطن العربي ولم يشتمل بعد على كل الأجناس الأدبية.

تعرّف الرواية بأنها "عمل فنّي، تتقدم به المخيلة في نثر طويل، تتمّ أحداثه ويحكى ويحيا في بيئة من البيئات، بواسطة شخصيّات معيّنة، فتجعلها الرواية كأنها حقيقة، وتجعلنا نتعرّف على نفسياتها ومصيرها ومغامراتها، وغالبا ما تكون الروايات الموجّهة إلى الأطفال قصيرة البدء، ذات فصول قصيرة وتدعم فيها المغامرة ذات الفائدة النفعيّة المباشرة، وتكون الأحداث فيها مثيرة حتى يحبس الطفل نفسه ويلهث وراء الأحداث باستمرار من فصل إلى فصل؛ بحيث تجعل الطفل القارئ يتتبّع أحداثها بشغف وعجب ولذّة[6]. نلاحظ في التعريف السابق أنّ الناقد ركّز في تعريفه للرواية الموجّهة لليافعين، على الشكل والأسلوب، من حجم وأحداث وشخصيات وعناصر المغامرة والتشويق، وملاءمة البيئة والعودة بالفائدة النفعيّة على شخصيّة الطفل القارئ، بينما يوضّح الناقد العراقي نجم عبد الله كاظم "أنّ القصد من رواية الفتيان والفتيات هي تلك المتوجّهة إلى الفتيان والفتيات، وتحديدا الفئة العمرية الممتدّة بين سنتي 12 و18، وقد تمتدّ لتشمل بعض الفئة العمرية الأخيرة التي تسمى بمرحلة الطفولة، والفئة العمرية الأخيرة قد تسمى الناشئة وإلى حدّ ما صغار الناشئين"[7].

نَجد أن الناقد العراقي المهتمّ بأدب اليافعين (نجم عبد الله كاظم)، قد عاد بنا في تعريفه لرواية اليافعين إلى التصنيف حسب الفئة والسن، ووضّح أنّها قد تشمل فئة اليافعين وكذلك فئة الناشئة التي تبدأ من سن الثانية عشْرة، ويوافقه في ذلك النّاقد (إسماعيل عبد الفتاح) حيث يقول: "ولابدّ أن تكون الرواية مقدّمة للأطفال في العمر المتوسط من 7-12 سنة أو من 9-13، وتكون مصحوبةً برسوم توضيحيّة ملوّنة وجميلة تشدّ الأطفال، وتجعلهم يصبرون على متابعة أحداثها الطويلة إلى حد ما بشوق وحماس"[8]، من خلال هذين التعريفين نستنتج أن رواية اليافعين شأنها شأن أدب اليافعين، وأدب الناشئة بصفة عامة تعاني جدلا فيما يخصّ مفهومها والفئة الموجّهة إليها، فهناك رواية للأطفال تحت الثانية عشْرة، ورواية لليافعين من 13 سنة إلى 16سنة، ورواية الشباب من 18 سنة فما فوق، وقد تصل هذه الفئة إلى 25 سنة.

ومما لاشكّ فيه أن هذه الأنواع من الروايات تختلف من حيث الشكل والمضمون، باختلاف الفئات الموجّهة إليها؛ فطفل السابعة والتاسعة ليس كالطفل بين الثانية والخامسة عشْرة، وطفل الخامسة عشْرة ليس كاليافع الذي وصل أو تجاوز الثامنة عشْرة، قد تشترك في عدّة عناصر كالحجم واستعمال الصور الملوّنة والتشويق والخيال، ولكن تختلف في المواضيع المطروقة، وطريقة التعبير والمفردات المستعملة، لقد تحدّث النقاد كثيرا عن المواضيع التي يجب أن تحتوي عليها روايات اليافعين، و"بشكل عام تنحو روايات اليافعين باللغة العربية إلى أن تكون أكثر محافظة من الناحية الاجتماعية، من نظيراتها باللغة الإنجليزية والفرنسية، في هذا الشأن تقول الكاتبة اللبنانية فاطمة شرف الدين إنه ينبغي على الروائيّين العرب أن لا يقلّدوا الأعمال الروائية المكتوبة باللغات الأخرى، تؤثّر اللغة والثقافة على المحتوى لمدى بعيد، نحتاج إلى أن نبدأ من الداخل (من ثقافتنا الخاصّة) وننطلق منه على الثقافات الأخرى وليس العكس"[9].

وهذا يعني أنّه بسبب الظروف المحيطة بنشأة رواية اليافعين في العالم العربي التي انتقلت من مرحلة الترجمة إلى مرحلة التأليف، وجب احترام البيئة والثقافة المحليّة، ومراعاة المبادئ والقيم الدينيّة والوطنيّة، بشرط أن تكون روايات مشوّقة وماتعة ومفيدة، تجعلهم يقبلون على قراءتها بشكل كبير مثلما يحدث في العالم الغربي، فقد نجحت رواية اليافعين في جلب شريحة واسعة من القراء رغم عائق التكنولوجيا التي سيطرت على العالم.

ومع ذلك فإن رواية اليافعين تكون مختلفة عن أدب الطفل في المراحل الأولى من الطفولة، خاصة في المواضيع المطروقة فوجب التّنبّه إلى التغيّر الفكريّ والنفسيّ الذي يحدث مع هذه الفئة، "ربّما يتطلّع اليافعون إلى المزيد من الأحاسيس المرهفة في الروايات، نلتمس بعض الإشارات الرومنسية في روايات الكاتبة الأردنية تغريد النجار، التي وصلت مرتين إلى القائمة القصيرة لجائزة اتصالات لأدب الأطفال لفئة اليافعين... وتتفق رانية أحمد بالرأي بأن كتب اليافعين يجب أن تتضمن المزيد من الرومنسية، فاليافعون بحاجة للقراءة أكثر عمّا يشغل بالهم ألا وهو الحب والعلاقات العاطفية"[10]، ولكن يشترط الحذر في هذه النقطة فالتصريح المبالغ فيه والتصوير الجنسيّ الفاضح، أو الخروج عن الآداب العامة التي تنافي القيم وثوابت الهوية أمر غير محمود.

ويشير النقاد إلى ضرورة العودة إلى تراثنا العربي العتيق فهو زاخرٌ بالمتون والقصص والحكايا، التي يمكن أن تكون مصدرا لروايات اليافعين المشوّقة والنافعة ومليئة بالشخصيّات العظيمة التي من الممكن أن تكون قدوة لشبابنا ، يقول الناقد الفلسطيني (محمود شقير): "إنّ ثمة شخصيّات في تراثنا من طراز صلاح الدين الأيوبي والزير سالم، والأميرة ذات الهمة والخنساء وشجرة الدر، ويوجد شعراء وفلاسفة ومفكرون، يمكن للأدب أن يضّطلع بمهمة تقديمهم لليافعين، وثمة كتب مثل كليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة، وفيها من الحكمة والخيال والمفارقات، ما يوازي الواقعية السحرية التي شاعت في أدب أمريكا اللاتينية؛ بل إنّ أدباء عالميّين تأثروا باعترافهم بكتاب ألف ليلة وليلة واستلهموه في إبداعاتهم"[11]، وهذا طرح صحيح فِعليا لأنّ العديد من الكتاب عادوا إلى التراث الشعبي والتاريخ القديم، استلهموا منه وكانت قصصهم الموجّهة للأطفال ناجحة ومفيدة، فلِما لا يحدث كذلك بالنسبة لأدب اليافعين.

3.رواية اليافعين في الجزائر:

واقع رواية اليافعين في الجزائر لا يختلف عنه في العالم العربي، فقد شهد أدب الطفل في العالم العربي نهضة واضحة منذ عقدين تقريبا، ولكن لم يحدث الأمر نفسه بالنسبة لأدب اليافعين، الذي كان يسير بشكل أبطأ، ولم يستطع الوصول بعد إلى قُرائه المناسبين، نظرا للضبابيّة وعدم الوضوح في الفئة الموجّه إليها، فهو لا يزال في مرحلة التكوين والنشأة، ولكن رغم هذا لا يمكن أن ننفي أنّ هناك موجة جديدة من الأعمال الأدبيّة العربيّة التي أخذت على عاتقها الخوض في تجربة الكتابة لليافعين، وخاصة جنس الرواية التي –كما قلنا سابقا– ارتكز عليها أدب اليافعين بشكل كبير، وكذلك الأمر في الجزائر، فهو لا

يزال في بدايته، وعدد الكتّاب الذين لهم تجربة في هذا المجال يعدّ على الأصابع، وإذا تحدثنا عمّا يُسمى بأدب اليافعين بمفهومه المعاصر، فإنّه لم يكن موجودا بصفة واضحة في الأدب الجزائري، باستثناء بعض القصائد القديمة التي صُنفت بأنها تنتمي إلى أدب الناشئة، مثل قصائد لمحمد العيد آل خليفة، وقصائد في ديوان أحمد سحنون وشعر العلامة ابن باديس، وكذلك ديوان الشهيد للشهيد الربيع بوشامة الذي صُنف ضمن أدب الطفل، ولكن مَن يقرأه يجد أنّ قصائده يمكن أن تكون موجّهة للشباب أكثر من الأطفال، وغيرهم من الشعراء الذين توجّهوا بقصائدهم إلى شباب الأمة خاصة في المواضيع الوطنيّة والتاريخيّة والدينيّة، بهدف تقوية رابط الوطنيّة والهوية لديهم خاصة في ظل أوضاع الاستعمار الغاشم آنذاك، أما الجانب السردي فلا نكاد نجده إلا بعض القصص الموجّهة للطفولة الناشئة.

ومع النهضة الأدبيّة التي شهدتها الجزائر في أدب الطفل بعد الاستقلال خاصة في مجال القصّة، التي يمكن أن نقول إنها تسير في خط مشجع ومقبول نوعا ما، هناك بعض الأقلام التي حاولت التوجّه بكتاباتها إلى فئة اليافعين، ولكنها غير كافية إذا ما قارنّاها بالأعمال المنشورة في المشرق العربي، سواء في القصة القصيرة أو في فنّ الرواية، ومن أوائل من كتب القصّة المطولة الموجّهة للناشئة في الجزائر، الأستاذ الأديب أحمد منور، الذي كتب قصة (البحيرة العظمى)، وهي رحلة استكشاف لأعماق الصحراء من نوع الخيال العلمي، فازت بجائزة الشارقة سنة 1999، ونُشرت هناك، كما نُشرت في الجزائر بمطبعة دار مدني سنة 2012، والمثير للانتباه أنه رغم طول القصّة التي تحتوي على ثمانين صفحة، إلاّ أنه كتب على غلافها قصّة للأطفال، ولم يكتب رواية للفتيان أو للناشئة؛ بل إنّ بعض النقّاد اجتهد في تحديد الفئة الملائمة لقراءتها ما بين 12 و15 سنة، وهذا دليل على أنّ أدب اليافعين لم يكن معروفا بهذا المفهوم في ذلك الوقت.

كما أنّ للكاتب قصّة أخرى بعنوان (بائعة الخبز)، وهي رواية اجتماعيّة تتكون من 200 صفحة بين الكتابة والصور المصاحبة لها، كتب على غلافها، بأنّها قصّة موجّهة للفتيات والفتيان، وكذلك القصّة الثالثة للكاتب بعنوان (بركات لالا سيتي.. حصار المائة شهر)، وتمّت الإشارة في غلافها إلى أنها رواية للفتيان، وهي رواية مستمدّة من تاريخ الجزائر القديم، طُبعت بمناسبة تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية سنة2011، ومن بين المبدعين في مجال أدب الطفل واليافعين: الكاتبة الراحلة ندى مهري، التي تملك العديد من الأعمال، من بينها قصة (أميرة النجوم) سنة 1996،التي تحصلت على جائزة الشارقة

للإبداع العربي سنة 2009، وأتبعتها برواية (مملكة الأمنيات) وهي تتمّة للقصّة السابقة "رواية مملكة الأمنيات التي رسمت غلافها المصرية حنان كرارجي، تتكون من 19 فصلا وكل فصل يحمل مغامرة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتيمة الرئيسة للرواية، التي هي موجّهة بالأساس إلى النشء؛ حيث يمتزج فيها الواقع بالخيال من خلال قصّة فتاة في العشرينيات، عاشت طفولة مليئة بالمغامرات العجيبة، مع تسليط الضوء على الحدود الأخلاقية والثقافية في رحلة الفتاة"[12]، وبهذا فتحت ندى مهري الباب لدخول عالم الخيال والعجائبيّ في رواية اليافعين والشباب في الجزائر.

ومن بين الكتّاب المميّزين في أدب الطفل في الجزائر الكاتبة جميلة يحياوي التي ألّفت أكثر من خمسين قصّة طفليّة، نالت بفضلها العديد من الجوائز محليا وعربيا، لها روايتان لليافعين، (رواية فارس والقوة الخفيّة، ورواية أشجار الأحلام)، ورواية أشجار الأحلام تنتمي إلى الخيال العلميّ وقد صدرت في دولة الإمارات العربية المتحدة سنة 2017، اتّخذت شخصيّة الطبيب العالم والبطل الخارق شخصيّة رئيسة في روايتها "والأطفال صغارا كانوا أم يافعين يحبون البطولة ولاسيما بطولة الفرد الخارق، أو الشخص المتميز عن غيره، وهنا تشير المؤلفة من البداية إلى بطل هذه الرواية هو الدكتور جواد، العالم المختص في الهندسة الوراثية، وهو أحد العلوم العصرية التي استطاعت أن تنقل الإنسان من عصر إلى عصر، وغيّرت حياته تغييرا جذريا بإيجابياتها وسلبياتها"[13]، والخيال العلمي مناسب جدا لفئة الشباب، فهو يساهم في تخصيب خيالهم وتوجيه اهتمامهم إلى البحث العلمي في مجالات لم تكن لهم معلومات كافية عنها، مثل الطبّ وعلم الوراثة والفلك، وتشجيعهم على التجريب والإقدام دون خوف اقتداءً بأبطال رواياتهم وقصصهم التي يقرأونها.

أما الرواية الثانية للكاتبة وهي رواية (فارس والقوّة الخفيّة) فهي ذات طابع اجتماعي، تتحدّث عن ذوّي الاحتياجات الخاصة من الشباب، نُشرت سنة 2016 عن دار سما للنشر بالإمارات العربية المتحدة، "اختارت الأديبة جميلة يحياوي لروايتها الموجّهة لليافعين بطلا يعاني من إعاقة حركيّة، وسمّت هذا البطل (فارس)، وفي هذه التسمية مفارقة بديعة تدلّ على التحدي ومواجهة الصعاب بشجاعة الفرسان"14؛ حيث يواجه هذا الشاب صعوبة في التأقلم مع إعاقته، بالإضافة إلى تعرّضه للتنمّر، لكنه استطاع التغلّب على مشاكله والنجاح في حياته بفضل قوّة بصيرته، وموضوع الرواية من واقع الشباب ومن الأمور التي يمكن أن تحدث لأيّ شخص، وبالتالي فبإمكان رواية (فارس والقوّة الخفيّة) تشجيع هذه الفئة

وبثّ روح المقاومة والشجاعة فيها واكتشاف القدرات الداخليّة والعقليّة لدى الشباب من ذوي العاهة الجسدية.

توجد أيضا القاصّة والشاعرة المتألقة جميلة ميهوبي التي جادت على أدب الطفل في الجزائر بالكثير من الأعمال المتميّزة من الشعر والقصص، ولها مجموعة قصصيّة موجّهة للشباب بعنوان "(أرض وراية) صدرت عن دار الهناء سنة 2019، وتنتمي إلى أدب المقاومة، تعرّضت فيها إلى تضحيات الشعب الجزائري إبان الثورة، من خلال تسعة عناوين مختلفة، كما صدَرت لها روايات عالميّة أعادت كتابتها انطلاقا من ترجمتها من اللغتين الإنجليزية والفرنسية، وهي توم سوير، أليس في بلاد العجائب، والرجل الخفي، كما نَشرت أيضا رواية خياليّة للأطفال بعنوان (في بحيرة الأعاجيب)، يستمتع فيها الطفل بكثير من المغامرات الشيّقة رفقة عدد من الأصدقاء الجدد في عوالم رائعة مليئة بالمفاجآت السّارة"[15].

دون أن ننسى الكاتب المتألق أحمد خياط الذي له عدة عناوين في مجال أدب اليافعين، منها: جزاء الإحسان-اليتيمة-كوزيت-وجفت الدموع-تضحيات شاب، وغيرها من العناوين التي اختلفت مواضيعها بين الاجتماعيّة والتربوية والقصص الشعبيّة، وتحدّث الناقد عبد الله لالي في كتابه الجديد (في أدب الطفل الجزائري، قراءات نقدية وجمالية) عن العديد من الأعمال الموجّهة للطفل من بينها قصة (تاباكو)، للكاتب والأكاديمي مسعود عثماني، وهي قصة تتكوّن من 30 صفحة، ونظرا لطولها نوعا ما وللموضوع التي تحدّثت عنه، تعدّ رواية موجّهة لليافعين، "فهي قصّة في رسالة، رسالة طويلة تروي معاناة الفتى (فريد) الذي أُصيب بمرض السُلّ وأشفى على الهلاك لولا أن تداركته رحمة ربّه، بعد أن قضى في المستشفى شهورا طويلة من المعاناة والألم، فقرّر أن يرسل رسالة تحذير ونُصح إلى الأطفال أمثاله، يحذرهم من عاقبة تعاطي الدخان[16]، وبالإضافة إلى هذه النماذج المذكورة هناك عدّة ترجمات للروايات العالميّة التي تهافتت عليها دور النشر، وكذلك بعض القصص التي وُجّهت للأطفال ولكن بعض خصائصها يمكن أن تُرجّحها لتكون ضمن أدب اليافعين.

من خلال هذه النماذج يمكن أن نستنتج أنّ رواية اليافعين في الجزائر قليلة جدا مقارنة بالإنتاج العربي لهذا النوع من الأدب، ولكنّ هذه المحاولات على قلّتها استطاعت أن تُلفت النظر إلى فئة اليافعين وتفتح المجال أمام المبدعين للتوجّه بأعمالهم لهذه الفئة مستقبلا، كما نلاحظ أنها قد عَرّجت في مواضيعها

على أهمّ الأمور التي تُعنى بها فئة اليافعين والشباب، فخاضت في الخيال العلميّ والتاريخ الوطنيّ القديم والحديث، والقضايا الاجتماعيّة كاليُتم وتسلّم المسؤولية في الصغر، تعاطي التدخين، الإصابة بالأمراض وأهميّة التسلّح بالعلم، إلى غير ذلك من المواضيع التي لها علاقة بالشباب وبعوالمهم وحياتهم اليوميّة، ويبقى على المهتمين بالمجال تقييم هذه الأعمال وتوجيه الأنظار إليها وتشجيعها لتصل إلى قُرائها المناسبين.

4.دراسة مقارنة لروايتي (بائعة الخبز، وبركات لالا سيتي.. حصار المائة شهر) لأحمد منور:

ومن أجل التعرّف على خصائص رواية اليافعين في الجزائر أجرينا دراسة مقارنة لروايتيْ "بائعة الخبز"، و"بركات لالا سيتي.. حصار المائة شهر" للكاتب والناقد الجزائريّ أحمد منور، وهو أستاذ جامعيّ له العديد من الأعمال الأدبيّة من بينها قصص وروايات للناشئة، ومن أبرزها (البحيرة العظمى، بائعة الخبز، بركات لالا سيتي)، وللوصول إلى هدفنا وهو استنتاج بعض خصائص رواية اليافعين سنقوم بدراسة مقارنة بين الروّايتين في عدّة نقاط.

4. 1 الموضوع: تتحدّث رواية بائعة الخبز في موضوعٍ اجتماعيّ وهو اليُتم؛ حيث توفيَ الوالدان وتركا ثلاثَ بناتٍ وطفلا صغيرا دون مُعيل، فتضطرّ الأخت الكبرى إلى ترك دراستها والبحث عن عمل من أجل ضمانِ عيش كريم لإخوتها، ومما زاد من معاناتها ومعاناة أشقائها العمُّ الشرير الذي أراد إجبارها على الزواج من ابنه أو الاستيلاء على بيت والدهم وطردهم إلى الشارع، بينما تدور أحداث الرواية الثانية في قالَب تاريخيّ؛ حيث إنّ بطل القصة أميرٌ من مدينة تلمسان العريقة التي كانت محاصرة من قبل الدولة المرينية لمدة تجاوزت ستّ سنوات في عهد الدولة الزيانية، وتشاركه البطولة ابنة عمّه الأميرة لالا سيتي، التي سُمّيت بهذا الاسم تيمُّنا بالمرأة المتصوّفة الزاهدة ابنة الشيخ عبد القادر الجيلاني صاحب الطريقة القادرية، والتي تحوّل ضريحها إلى مزار عبر الزمن.

إنّ من يقرأ القصتين يلاحظ بساطة الأحداث في القصّة الأولى؛ فمشكلة البنات تكمُن في عدم توفّر مصدر رزق لهم، ولكن الأخت الكبرى تتغلّب على هذه المشكلة بصنع الخبز وبيعه، والمشكلة الأخرى عمُّهم الذي أراد الاستحواذ على البيت، لكنها استطاعت أن توقفه عند حده، بالإضافة إلى بعض المشاكل الأخرى مثل رسوب البنت الوسطى في الامتحان، ولكنّ الكاتب لم يكن يُطيل في سرد الأحداث المؤلمة فكلّما وصلت المشكلة إلى الذروة يأتي الحلّ بسهولة ويُسر. بينما تحتوي القصة الثانية على أحداث

شائكة ومثيرة، ومعارك حربية ورحلات وشخصيّات متعدّدة، كما أنّ القصة تبدو حقيقيّة بما أنّها تروي أحداثا تاريخيّة بأسماء تاريخية حقيقيّة وواقعيّة، كما خاضت في وصف الحياة الدينيّة آنذاك وتحدّثت عن الصوفيّة والأضرحة والولاء للأوطان.

2.4مستوى اللغة: على المستوى اللغوي لا توجد فروق كبيرة بين الروايتين إلا بعض الاختلافات البسيطة، فمَن يقرأ الروايتين لا يلاحظ ذلك الفرق الواضح في المستوى الفنيّ أو شعرية اللغة المستعملة، فقد كانت المفردات بسيطة والحوار واضحا وليس فيه غموض أو تأويل، ونجد أنّ الكاتب قد وضع هامشًا في كلتا الروايتين لشرح المفردات التي رأى أنّها صعبة على الطفل أو الفتى القارئ، ومن الاختلافات الواضحة، ربّما هو استعمال الدارجة في رواية (بائعة الخبز) مثلا: "هاه اتّفقنا يا ابنتي يوم الاثنين إن شاء الله بعد انفضاض السوق أنقلكم عندي إلى الحوش"[17]، وقوله: "الله يرحمها ويوّسع عليها"[18]، كما لاحظنا التعبير بلغة جريئة على مواقف رومنسيّة في رواية (بركات لالا سيتي) على عكس الرواية الأخرى التي اكتفى فيها الكاتب بوصف المواقف بشكل يوافق عالم الطفل؛ حيث يقول في روّاية لالا سيتي: "واستغنى عبد الرحمان عن الكلام وراح يتأمل وجهها، وينظر في عينيها فأحسّت بالحرج ونهرته: عبد الرحمان.. غضّ بصرك لا تنظر إليّ هكذا –لماذا أغض بصري وأنت ابنة عمّي، وزوجتي في مستقبل الأيام"[19]، وهناك الكثير من المواقف التي يتحدّث فيها الأمير عن ابنة عمّه وزوجته المستقبليّة يصف فيها جمالها، وشوقه إليها ولهفته للقائها.

كما نجد فرقا آخر هو استعمال بعض الشعر الطفولي في رواية بائعة الخبز، في قوله:

يا أمي يا أمي يـــا فرحة قلبي
يا أمي يا أمي يا عشقي وحبي[20]

بينما استعمل في الرواية الأخرى آياتٍ من القرآن الكريم والحديثَ النبويّ الشريف، في كثير من الحوارات بين أبطال القصة وفي جلّ الصعوبات والمواقف الحرجة التي واجهتهم، هذه بعض الفروق بين الروايتين التي تبدو بسيطة ولكنّها أثّرت على مستوى اللغة؛ إذ من الواضح أن رواية (بائعة الخبز)، أكثر ميولا إلى عالم الطفولة، عكس الروّاية الأخرى التي تبدو مناسبة لفئة الشباب.

3.4 الشخصيات والإخراج الفنّي: بالنسبة للشخصيّات وشكل الروايتين يمكن كذلك ملاحظة بعض الفروق، فشخصيّات (بائعة الخبز) قليلة مقارنة برواية لالا سيتي؛ فالأولى تتكوّن من شخصيّة البطلة عائشة وأخواتها مريم وخديجة وشقيقهم الأصغر يوسف، العم وابنه، الخال وزوجته وبنتيه، صديقة مريم صفية والشيخ في البلدية الذي ساعد البطلة عائشة في الحصول على عمل، بينما في رواية لالا سيتي فالشخصيّات كثيرة جدا لا تكاد تحصى وأكثرها شخصيّات تاريخيّة حقيقيّة، مثل أسماء الملوك والأمراء وشيوخ القبائل، وهناك شخصيّات الخدم الذين كان لهم تأثير في القصّة، والجنود الذين شاركوا في الحرب، والمواطنون كذلك؛ فهي قصة متشعّبة وفيها العديد من الشخصيّات الرئيسة والثانوية، كما أنّ رواية بائعة الخبز تحتوي على شخصيّات البطولة من الأطفال، بينما شخصيّات الرواية الثانية كلُّهم كبار.

أما من ناحية الشكل فالروايتان متشابهتان تقريبا حجما وإخراجا، تتكوّن (بائعة الخبز) من 200 صفحة و(لالا سيتي) من 190 صفحة، ولكنّ عدد الصفحات المكتوبة في كل منهما تعادل نصف الرقم، لأنّ كلتا الروايتين جاءتا على شكل صفحة للكتابة وصفحة للرسومات، في حين يمكن ملاحظة الفرق بين الرسومات في حد ذاتها؛ فنجدها في الرواية الأولى بسيطة وطفوليّة وبألوان باهتة، بينما في الرواية الثانية كانت أكثر وضوحا وجرأة وتصويرا للملامح الجميلة، خاصةً في الوجه والقوام واللباس بالنسبة للأميرة والأمير، وبألوان بارزة وقاتمة.

من خلال هذه الفروق الواضحة بين الروايتين في كلٍ من الموضوع ومستوى اللغة والشخصيات والشكل الخارجيّ، يمكن القول إنّ روّاية (بائعة الخبز) ملائمة أكثر للسن بين 12 و15 سنة، فكلّ خصائصها تدل على أنّها قصة أطفال طويلة الحجم وحسْب، وبالتالي يمكن أن نسميها رواية أطفال، بينما الرواية الأخرى فمستوى الموضوع فيها ولغتها وتعابيرها تبدو ملائمة للسن أكبر من 15 سنة، وبالتالي يمكن القول إنّ رواية اليافعين مختلفة بالنسبة للفئة الموجّهة إليها، فهناك رواية الأطفال بين الثانية عشرة والخامسة عشرة، وهناك الرواية التي تلائم الفتيان فوق سن الخامسة عشرة سنة، وهذا ما يبرّر اختلاف النقاد في تحديد الفئة التي توجّه إليها رواية اليافعين.

خاتمة:

حاولنا في هذه الدراسة الوقوفَ عند مفهوم ما يُسمى بأدب اليافعين وإلقاءَ نظرة على واقع أهمّ جنس فيه وهو رواية اليافعين في الساحة الأدبيّة في العالم العربي وفي الجزائر، وختاما يمكن استنتاج النقاط التالية:

- أدب اليافعين هو جنس أدبي حديث في العالم العربي انفصل حديثا واستقلّ عن أدب الطفل، والملاحظ أنّ هناك اختلافا بين النقاد في مفهوم أدب اليافعين، وكذا في تحديد الفئة العمرية الموجّه إليها.
- هناك نهضة واضحة شهدها أدب اليافعين في الساحة الأدبية العربية بعد تأخّره مقارنة بالغرب الذي سبقنا إليه بعقود طويلة.
- أدب اليافعين في الجزائر قليل جدا والأعمال الموجّهة لهذه الفئة تعدّ على الأصابع، وقد تمثّلت في بعض الروايات المعدودة ولكن على قلّتها استطاعت أن تمَسّ أغلب المواضيع التي تهمّ الشباب وترتبط بواقعهم، وقد دخل الأدباء عالم الخيال البسيط والخيال العلميّ، وكتبوا في عالم الإنسان وكذلك في عالم الحيوان، وخاضوا في القضايا الاجتماعيّة والعائليّة.
- يمكن تقسيم رواية اليافعين إلى أنواع حسَب موضوعها وخصائصها الفنية وحسَب الفئة المناسبة، فهناك رواية أطفال بين الثانية عشْرة والخامسَ عشْرة سنة، وهناك رواية الشباب التي توجّه إلى الفئة العمرية فوق سنّ الخامسة عشْرة.

الإحالات:

[1] نشوة أحمد، أدب الفتيان العرب يواجه الرقابة الذاتية والمحرمات، www.independentarabia.com، شوهد يوم: 2022/10/20، 22:15.

[2] إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر (رؤية نقدية تحليلية)، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 2000، ص21.

[3] مصعب مسامح وياسمين قلو، ترجمة أدب اليافعين، مجلة دفاتر الترجمة، عدد خاص، مج 25، الجزائر، أفريل2022، ص93.

[4] إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص21.

[5] ينظر: رواية الفتيان.. خصائص الفن والموضوع، جريدة العرب الاقتصادية الدولية www.aleqt.com، شوهد يوم 2022/10/30، 19:11.

[6] ينظر: رواية الفتيان.. خصائص الفن والموضوع، جريدة العرب الاقتصادية الدولية www.aleqt.com، شوهد يوم 2022/10/30، 19:11.

[7] إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص 56.

[8] أدب الفتيان العربي دراسة تتتبع تجاربه، العربي الجديد https/ www.alaraby.co.uk شوهد يوم2022/10/12، 20:50.

[9] إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر، ص58.

[10] ما رسيا لينيكس كويلي، ترجمة عن الألمانية خالد سلامة، موقع قنطرة،/or.qantara.dz/content شوهد يوم 2022/10/17، 19:24.

[11] أنظر المرجع نفسه.

[12] خلود الفلاح، تحرير الخيال لدى جيل التقنية.. أدب اليافعين يكافح للوصول إلى قرائه، www.aljasira.net شوهد يوم 2022/10/20، 21:53.

[13] نسرين أحمد زواوي، الأدبية الجزائرية ندى مهري تكشف جمال الحضارات التي صنعها الإنسان في رواية مملكة الأمنيات، https//www.elhayatalarabiya.net، شوهد يوم 2022/11/4، 18:35.

[14] المرجع نفسه، ص18.

[15] ينظر: أحسن مرزوق، الكاتبة جميلة ميهوبي تقدم كتابها أرض وراية بدار الثقافة في البويرة، يومية الوسط، www.zlwassat.dz، شوهد يوم 2022/11/5، 14:58.

[16] عبد الله لالي، في أدب الطفل الجزائري، ص 91.

[17] أحمد منور، بائعة الخبز قصّة للفتيان والفتيات، دار الساحل، الجزائر، ط1، 2013، ص8.

[18] المصدر نفسه، ص84.

[19] أحمد منور، بركات لالا ستي.. حصار المائة شهر رواية للفتيان، وزارة الثقافة، الجزائر 2011، ص 140.

[20] أحمد منور، بائعة الخبز، ص 60.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

1- أحمد منور، بائعة الخبز قصّة للفتيان والفتيات، دار الساحل، الجزائر، ط1، 2013.

2- أحمد منور، بركات لالا ستيي.. حصار المائة شهر رواية للفتيان، وزارة الثقافة، الجزائر 2011.

3- إسماعيل عبد الفتاح، أدب الأطفال في العالم المعاصر (رؤية نقدية تحليلية) ، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 2000.

المجلاّت:

4- مصعب مسامح وياسمين قلو، ترجمة أدب اليافعين، مجلة دفاتر الترجمة، عدد خاص، مج 25، الجزائر، أفريل2022.

المواقع الالكترونية:

1- أحسن مرزوق، الكاتبة جميلة ميهوبي تقدم كتابها أرض وراية بدار الثقافة في البويرة، يومية الوسط، www.zlwassat.dz، شوهد يوم 2022/11/5، 14:58.

2- أدب الفتيان العربي دراسة تتتبع تجاربه، العربي الجديد https/ www.alaraby.co.uk شوهد يوم 2022/10/12، 20:50.

3- إيمان بقاعي، سماح إدريس كاتب أطفال تحرر من صنمية التربية، /www.ar.theasian.asia، شوهد يوم 2022/11/02، 19:05.

4- خلود الفلاح، تحرير الخيال لدى جيل التقنية.. أدب اليافعين يكافح للوصول إلى قرائه، www.aljasira.net شوهد يوم 2022/10/20، 21:53.

5- عبد لالي، في أدب الطفل الجزائري قراءات نقدية جمالية، مكتبة نور، 2022، www.Nour-book.com.

6- ما رسيا لينيكس كويلي، ترجمة عن الألمانية خالد سلامة، موقع قنطرة،/or.qantara.dz/content شوهد يوم 2022/10/17، 19:24.

7- نسرين أحمد زواوي، الأديبة الجزائرية ندى مهري تكشف جمال الحضارات التي صنعها الإنسان في رواية مملكة الأمنيات، https//www.elhayatalarabiya.net، شوهد يوم 2022/11/4، 18:35.

8- نشوة أحمد، أدب الفتيان العرب يواجه الرقابة الذاتية والمحرمات، www.independentarabia.com، شوهد يوم: 2022/10/20، 22:15.

9- رواية الفتيان.. خصائص الفن والموضوع، جريدة العرب الاقتصادية الدولية www.aleqt.com، شوهد يوم 2022/10/30، 19:11.